﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ٥٣﴾ [الكهف: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

بعدَ الخيبةِ مِنَ الأولياء الانفرادُ بسوءِ المصيرِ

لمّا أوردَ النَّظمُ الجليلُ ما للمشركين مع شركائِهم يومَ القيامة؛ ذكرَ هنا حالةَ المُجرمين عندما يَرون النّارَ[1]، أو بعد أنْ بيّنَ النَّظمُ خيبةَ المشركين مِن أوليائِهم؛ إذ دعَوْهم يومَ القيامة ليَشفعوا لهم، ويَصرفوا عنهمُ العذابَ، فلم يَستجيبوا لهم؛ بيّنَ في هذه الآية أنَّهم بعد فُقدانِهمُ الأملَ في شركائِهم، رأوا النّارَ، فعلِموا أنَّهم واقعون فيها، ولا صارفَ لهم عنها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾: (وقع) أَصْلٌ يَدُلُّ على سُقوطِ شَيْءٍ[2]، ومنه: وقع يقع وقعًا ووقوعًا، أي: سقط، ووقع القولُ والحُكم؛ إذا وجب، ومنه قوله تعالى: ﴿*وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النّمل: 82] أي: إذا وجب القول عليهم؛ أخرجنا لهم دابة منَ الأرض، والوَقْعَةُ والواقعةُ: صَدمةُ الحرب أو الدّاهية والنّازلة من صروف الدَّهر، والواقعة: اسم مِن أسماء يوم القيامة، وإذا وقع قوم بقوم؛ قيل: واقعوهم، وأوقعوا بهم إيقاعًا، وواقعوهم في القتال مواقعة ووقاعًا، والوِقاعُ والمواقعة والإيقاع: كناية عن جِماع الرَّجلِ امرأَتَهُ[3]، ومواقعُ الغيم: مساقطُه[4]، والمرادُ به في الآية الكريمة: أنَّهم مُخالطون النّارَ، واقعون فيها[5]، فالمواقعةُ مشتقَّةٌ منَ الوقوع

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 86، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 538.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وقع).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وقع).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ (وقع).
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 192.

على وزن مفاعلةٍ، أي: واقعون فيها وقوعَ الشَّيء الحاصلِ في موقع يتطلَّبُه، فكأنَّه يقعُ فيه[1].

2) ﴿مَصۡرِفٗا﴾: (صرف) أصل يَدُلُّ على رَجْعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ: صَرَفْتُ القَوْمَ صَرْفًا وانْصَرَفوا؛ إذا رَجَّعْتَهُم، فرَجَعوا[2]، والصَّرف: ردُّ الشَّيء عن وجهه، يقال: صرفَه عن كذا؛ إذا عدلَ به عنه، ونحّاه، كقوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: 146]، أي: سأنحّي، وأعدِلُ بهم عنها، ومعنى قوله: ﴿فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ﴾ [الفرقان: 19]، أي: لا يقدرون أن يَصرفوا عن أنفسهم العذابَ، أو أن يَصرفوا أنفسَهم عنِ النّار، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا﴾، أي: مَعدِلًا[3]، أي: لم يَقدِروا على الهربِ ولا على الرُّجوعِ عنها، فالمَصرفُ: المَعْدِلُ، وهو الموضعُ الذي يُصرَفُ إليه[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

رُؤيـــةُ الـنّـارِ وانقطاعُ السُّبلِ والاسـتـسـلامُ لسوءِ المصيرِ

يخبر النَّظمُ الكريم أنَّ المجرمين يوم القيامة عندما يشاهدون النّارَ بأعينهم، يوقنون إثرَ ذلك أنَّهم مخالطوها وواقعون فيها؛ لسوء الأعمال التي قدَّموها، وانكشافِ الحقائق أمامَهم، ولم يجدوا عن النّار مَعْدِلًا ينصرفون به عنها إلى غيرها[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ العطفِ بالواو في ﴿وَرَءَا﴾:

بُـــرِّزتِ الـنّـارُ وشُخِّصتْ حتّى رأوْها بأعينِهم

الجملةُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ معطوفةٌ على الجملة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا﴾، أي: جعلنا المَوبقَ وهو النّارُ، ورآه المُجرمون[6]، فبعدَ جعْلِ المَوبقِ وشخوصِه، أكَّدَ ظهورَه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 346.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صرف).
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (صرف).
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 56.
(5) جماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 299.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 345.

وحيلولتَه، بأنَّهم رأوه، كما يشيرُ بالرُّؤية إلى شدَّةِ الموقفِ عليهم؛ إذِ انقطعَ رجاؤهم باستجابةِ الشُّركاءِ وقتَ ظهورِ الحائلِ بينَهم، وهي النّارُ التي رأوْها بأعينِهم.

علَّةُ وضْعِ الظّاهرِ مَوضعَ المُضمرِ:

اتِّصافُهم بالإجرامِ يزيدُ في ذمِّهم، ويُعَمِّمُ الاستحقاقَ لكلِّ مجرمٍ

وضعَ النَّظمُ الجليلُ الاسمَ الظّاهرَ موضعَ المُضمرِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾، فلم يقل: (فرأَوُا النّارَ)؛ وذلك لتسجيلِ صفةِ الإجرامِ عليهم، كما أنَّه يتضمَّنُ المبالغةَ والزّيادةَ في ذمِّهم[1]، كما يشيرُ إلى أنَّ علَّةَ الحُكمِ مُتعلِّقةٌ بالوصْفِ لا بالذّات، فيدلُّ على أنَّ رؤيةَ النّارِ في هذا السّياقِ مُتحقِّقةٌ لكلِّ مُجرمٍ.

الغرَضُ من وضْعِ الظّاهرِ مُعرّفًا بـ(أل) موضعَ الإضمارِ:

لم يكنِ المَوبقُ بينَهم غيرَ النّارِ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ عنِ ﴿ٱلنَّارَ﴾ بصيغةِ التَّعريفِ بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّها معهودةٌ، فهي المرادةُ بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقًا﴾ [الكهف: 52]، ويكونُ بذلك قد وضعَ الاسمَ الظّاهرَ موضعَ المُضمر، فلم يقل: (وجعلنا بينهم موبقًا، ورأوها، ولم يجدوا عنها مصرفًا)؛ وذلك للدَّلالةِ على أنَّ المرادَ بالمَوبقِ النّارُ[2]، وفي ذكرها بالمَوبقِ أوَّلًا، ثمَّ بلفظِ النّارِ المعرَّفةِ بالألف واللّام دون الإضمارِ، تفخيمٌ لشأنِها وتهويلٌ لها.

دلالةُ الفاءِ ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾:

اليقينُ بالحلولِ في النّارِ مُترتِّبٌ على رؤيتِهم لها

عطفَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ على الجملة في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ بالفاء العاطفةِ[3]؛ وذلك للدَّلالةِ على أنَّ يقينَهم بدخولِ النّارِ قد تحقَّقَ عقِبَ رُؤيتِهم إيّاها، فكانتِ المبادرةُ تعبِّرُ عن سرعةِ هلعِهم وخروجِهم من حالةِ الأملِ التي كانوا عليها عند دعوتِهم شركاءَهم.

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 538.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 346.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 209.

الغرَضُ مِنَ التَّعبيرِ بمفعولَيْ ظنَّ:

اليقينُ بدخولِ النّارِ مُتحصِّلٌ مُؤكَّدٌ رأيَ العين

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالجملةِ الاسميَّةِ المؤكَّدةِ لسدِّ مسدِّ مفعولَيِ الفعل ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾، تأكيدًا للعلْمِ المدلولِ عليه بـ(ظنَّ)، فمعنَى الظَّنِّ هنا: العلمُ واليقينُ، أي: تيقَّنوا، وهو قولُ جميعِ المُفسِّرين[1]، والظَّنُّ الذي تلحقُه (أنّ) المثقلةُ يدلُّ على اليقين، كقوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقّة: 20]، وقولِه تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ [القيامة: 28]، فناسبَ ذلك تأكيدُ مضمونِ الخطابِ؛ لأنَّهم رأَوُا النّارَ رأيَ العين، وقدِ انقطعتِ السُّبلُ بينَهم وبين شركائِهم، فصار معلومًا لهم دخولُ النّارِ، وهذا يُعبِّرُ عن شدَّةِ الفاجعةِ التي حلَّت بهم في ذلك الوقتِ، حيثُ تأكَّدوا بأنَّ مصيرَهم قدِ انتهى إلى النّار فلا فِكاكَ.

سِرُّ إيثارِ لفْظِ الظَّنِّ دونَ العلْمِ أوِ اليقينِ:

يَتشبَّثُ الهالكُ بقَشَّةٍ للنَّجاةِ

عبَّرَ بالظَّنِّ دونَ العلْمِ واليقينِ في قوله تعالى: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾؛ "لأنَّهم إذ رأَوْا هولَها وشدَّتَها؛ كانوا يَظنّون، ولا يَستيْقنون؛ ليوجِدوا لأنفسِهم نافذةً، ولو كوَّةً لاحتمالِ النَّجاةِ"[2].

إيثارُ لفْظِ (المواقعة):

مُخالطةُ المُجرمين للنّارِ قويَّةٌ تامَّةٌ

معنَى ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: مخالطوها، فإنَّ مُخالطةَ الشَّيءِ لغيره؛ إذا كانت قويَّةً تامَّةً، يقالُ لها: مواقعة[3]، وذلك استحقاقُهم منَ الجزاء، ويناسبُ صورةَ عدمِ قُدرتِهم على إيجادِ مَعدلٍ عنِ النّار في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، فإنَّ مآلَ شدَّةِ المخالطةِ العجزُ عنِ الخلاص والفرارِ من عقابهم.

---

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 55 - 56.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4546.

(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 475.

دلالةُ الواوِ في ﴿وَلَمْ﴾:

تحصَّلَ يقينُهم بحلولِها حالَ انتفاءِ الملاذِ والملجأِ عنها

أدخلَ النَّظمُ الجليلُ الواوَ الدّالَّةَ على الحال في مُفتتحِ الجملةِ الفعليَّةِ المنفيَّةِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، أي: والحالُ أنَّهم لم يَجدوا عنِ النّار مَصرفًا[1]، ودلَّ التَّعبيرُ بذلك على حالِهم وقتَ تيقُّنِهم من دخولِها، فهم تَيقَّنوا من ذلك في حالة عدمِ الاستطاعةِ على إيجادِ مُنصَرَفٍ ولا مَعْدِلٍ عنِ النّار، وهذا يدلُّ على تأكيدِ يقينِهم، كما يُشيرُ إلى عجْزِهم بعد التَّحرّي عن إيجادِ ملاذٍ يَحتمون به، أو يَفِرّون إليه، وهذا تصويرٌ بليغٌ لشدَّةِ ما بهم مِن يأسٍ وهلَعٍ مِن سوءِ المصيرِ.

دلالةُ نفي المضارعِ بـ(لم):

وجودُ المصرفِ عنِ النّار مُنتفٍ انتفاءً مؤكَّدًا لا احتمالَ لانتقاضِه

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعلِ المضارعِ المنفيِّ بـ(لم) في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾؛ للدَّلالة على تأكُّدِ انتفاءِ وجودِ المَصرفِ والمَعْدِلِ، فإنَّ (لم) تقلِبُ الزَّمنَ مِنَ المضارعِ إلى الماضي، فيكونُ النَّفيُ متَّجِهًا للماضي نفيًا قاطعًا بلا توفُّرِ احتمالِ انتقاضِه.

الغرضُ من تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَنْهَا﴾:

الابتعادُ عنِ النّار هو الشُّغلُ والغايةُ الأصلُ لهم

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ شبْهَ الجُملةِ منَ الجارِّ والمجرور ﴿عَنْهَا﴾ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ على المفعول به؛ لأنَّ المقصودَ بالسياقِ هو دونَ المصرفِ، فقُدِّمَ ذكرُ ما يتضمَّنُ ضميرَها على المَصرفِ اهتمامًا بشأنها؛ لأنَّ الغرَضَ منَ التَّحرّي عن مُصرفٍ هو الابتعادُ عنها، فالابتعادُ كان حاضرًا في ذهنِهم أكثرَ منَ المصرف نفسِه، كما أنَّ تأخيرَ المنصوبِ يحافظُ على نسقِ الفاصلةِ والخاتمةِ الصَّوتيةِ للآية الكريمة.

سرُّ التَّعبيرِ بالمفعولِ به بصيغةِ مَفْعِل ﴿مَصْرِفًا﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ عنِ المفعول به بصيغةِ اسمِ المكان على وزنِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 86.

انتفتِ الأماكنُ لبروزِ الأرضِ واستوائِها، فلا مردَّ لهم عنِ النّارِ

(مَفعِل) في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ المرادَ بالمصرفِ المكانُ، فـ ﴿مَصْرِفًا﴾، اسمُ مكان[1]، فهم لم يقدروا على الهربِ ولا على الرُّجوعِ عنها، فلم يَجدوا مكانًا يَعدلون إليه[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصَّرفُ والتَّحوُّلُ:

الصَّرفُ رجوعٌ وتنحيةٌ عنِ المكانِ، والتَّحوُّلُ تحرُّكٌ وتغييرٌ للمكانِ بلا تغييرِ الحالِ

المَصْرِف مِن (صرف)، وهو أصلٌ يَدُلُّ على رَجْعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ صَرَفْتُ القَوْمَ صَرْفًا وانْصَرَفوا؛ إذا رَجَّعْتَهُم، فرَجَعوا[3]، وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: 146] أي: سأُنحّي، وأعْدِلُ بهم عنها، يقال: صرفه عن كذا؛ إذا عَدَلَ به عنه، ونحّاه، وقوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان: 19]، أي: لا يقدرون أن يصرفوا عن أنفسِهم العذابَ، أو أن يَصرفوا أنفسَهم عنِ النّار، وقولُه: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، أي: مَعْدِلًا[4]، أي: لم يَقْدروا على الهربِ ولا على الرُّجوعِ عنها، فالمَصْرِف: المَعْدِلُ، وهو الموضعُ الذي يُصْرَفُ إليه[5].

أمّا التَّحَوُّل، فهو من الحَوْل، وأصلُه: تغيُّرُ الشَّيء وانفصالُه عن غيره، وحوَّلت الكتابَ، هو أن تنقلَ صورةَ ما فيه إلى غيره من غير إزالةِ الصّورةِ الأولى، وقولُه ﷻ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: 108]، أي: تحوُّلًا[6]، وحالَ إلى مكانٍ آخرَ، أي: تحوَّلَ، وحالَ الشَّخصُ، أي: تحرَّك، وكذلك كلُّ مُتَحَوِّلٍ عن حاله[7].

فالتَّحوُّلُ يدلُّ على مطلق التَّحرُّكِ وتغييرِ المَوضع، لكنْ بشرطِ

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 209.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 56.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صرف).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (صرف).
(5) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 56.
(6) الرّاغب، المفردات: (حول).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (حول).

عدمِ تغييرِ الحالة الأولى، أمّا المصرفُ؛ فهو المكانُ الذي يُرْجَعُ إليه، ويُنْصَرفُ إليه، ويُنَحَّى إليه أو عنه، ففي الجنَّة عبَّرَ بانتفاء إرادة الحِوَلِ، فقال: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: 108]، أي: لا يريد أهلُها التَّحوُّلَ عنها، وإن بقيت حالُهم مِنَ النَّعيم كما هي؛ إشارةً إلى عِظَمِ النَّعيم بالجنَّة لذاتِها، أمّا في النّار؛ فقال: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، للدَّلالة على مكانٍ يَفِرّون إليه، ويَتنَحَّون إليه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»